النقد السياسي في فلسفة ريجيس دوبري

أ. بوعائشة وردة
جامعة قسنطينة2 ـ عبد الحميد مهري

الملخص:

الفيلسوف الفرنسي "ريجيس دوبري" من خلال كتابه"نقد العقل السياسي"، حيث يرتبط معني النقد السياسي عنده بنقد معني الاديولوجي ويقصد بالضبط الكف عن الاعتقاد في تبني إيديولوجيا عقلانية خالصة،إذ يعد "دوبري"من المفكرين الماركسيين والمساندين للحركات التحررية وثورات العالم الثالث ولكن سرعان ما تنصل منها لما أفضت إليه الاشتراكية من فشل، كذلك ينتقد النظام الرأسمالي.فالنظام الرأسمالي يتبع منطقه الداخلي، وهو منطق لا ينطوي على قيم أخلاقية. فالرأسمالية"بربرية تعريفاً، وينبغي أن نناضل ضد هذه البربرية في العمق، إذا كنا نؤمن بذلك وهي النظام الذي سلب هوية المجتمعات، ليصل إلي أن السلوك السياسي الذي يتأثر بالأديان والاديولوجيات،وهو يستمد من البنية الخاصة لكل مجتمع بشري و يتشكل الوعي عنده بالعودة إلى المقدس والديني وإعطاء العوامل الأخرى حصتها من التغير الاجتماعي.ليبني دوبري موقفه النقدي السياسي الراهني من خلال ثورته علي الأنظمة الاقتصادية والاديولوجا.

Résumé

Parmi les philosophes contemporains le français Régis Debray ,dans son livre la critique de la raison politique où il relie le sens de la critique politique avec celui de l'idéologie. Selon régis Debray, il faut cesser de croire à l'adoption de l'idéologie mentale pure et de prétendre de dire de posséder une lecture objective de la réalité sociale; où il montre que l'idéologie est un sentiment relié à l'appartenance à un groupe humain, il prétend par ça le marxisme.

Debray critique aussi le système capitaliste qui suit une logique interne dépourvu de valeurs morales. Il aboutit à la fin au comportement politique qui est influencé par les religions et les idéologies et inspire de la structure spécifique de chaque société humaine. Debray construit sa position actuelle de la politique a travers sa révolution contre les systèmes économiques et idéologiques.

المقدمة

إن ما يعرف اليوم بالنقد الثقافي عموما ، يمثل احدث ما أفرزته الساحة النقدية الغربية في ميدان دراسة النشاط الإنساني ووصفه ونقده وهذا المفهوم المعاصر لا زال يكتنفه بعض الغموض وإن نشوء النقد الثقافي عند الغرب كان مرتبطا ببعض البوادر التي مهدت وهيأت لنشوئهِ وظهوره في الساحة النقدية، منها الدراسات الثقافية التي نشأت في الغرب بعد الحرب العالمية الأولى والتي كانت ترتبط بعلوم من مثل علم الاجتماع والتاريخ والفلسفة والانثريولوجيا، وقضايا التحليل الاجتماعي والثقافي للشعوب فضلاً عن الدين و النظريات السياسية والاجتماعية. وقد توجهت الدراسات الثقافة نحو الطبقات المهمشة والمهملة واعتنت بثقافتها – الثقافة الشعبية- بدلاً من الاهتمام بالطبقات المهيمنة وأدبها الرسمي. وقد أثرت الدراسات الثقافية في نشوء اتجاهات نقدية أخرى أيضا كان لها أثرها في نشوء النقد الثقافي وبلورة مفاهيمه. ولعل من بين من اهتموا بالفلسفة النقدية المعاصرة ريجيس دوبري وخاصة في المجال السياسي وعليه نتساءل :ما مفهوم النقد السياسي عند ريجيس دوبري؟ كيف ستاثر الاديولوجيا في بناء الوعي السياسي الراهني ؟كيف سيساهم الفكر التحرري عند دوبري في بناء شمولية اجتماعية اقتصادية ودينية ؟وهل حققت حركة النقد الفلسفي الراهني رغم الاختلافات وتطور التقنيات الطابع الانساني القيمي عند دوبري؟

1 نبذة حياتية لريجيس دوبري:

الفيلسوف ريجيس جولي دوبريRégis Jules Debray،فيلسوف وكاتب فرنسي ولد02 سبتمبر1940،وهو ابن لمحامي باريسي مشهور Georges Debray"جورج دوبري"، والسياسية "جانين الكسندر دوبري"Janine Alexandre-Debray، أكمل دوبري دراسته في عام 1960 بقسم الفلسفة في دار المعلمين العالية بباريس، وهي

إحدى أكبر المؤسسات الجامعية في فرنسا وهي ذات الجامعة التي تخرج منها "جان بول سارتر" و "ديمون آرون".[1]

وحصل دوبري في عام 1965على شهادة الدكتوراه في الفلسفة لكي يُلقى محاضراته في الجامعة ، اهتمّ بالماركسيّة في شبابه وانبهر بفيدال كاسترو، وكان صديقا لتشي، كما يناديه، أو تشي غيفارا، فكتب كتابه الأول من كوبا «الثورة في الثورة» وذلك سنة 1967، وقد سلّط فيه الضوء على الثورة الكوبية وتعثراتها، بعد ذلك التحق بتشي غيفارا في بوليفيا، أين ألقي القبض عليه، وحُكم عليه بالسجن المؤبّد بتهمة مساندة الثوّار، والمشاركة في حرب العصابات... كان مستشاراً للرئيس فرانسوا ميتران بين عامي 1981 و1988.[2] فبعد مسار سياسي ملتزم، يعود ريجيس دوبري إلى عالم الدراسات في2002 ليّدرس الفلسفة بجامعة ليون3، وأحد أكثر الفلاسفة الغربيين، تعّلقا بتيار فكري يعرف بالميديولوجيا. وهو مدير المعهد الأوروبي للعلوم الدينية منذ عام 2005، وتُعتبر كتبه مرآة لتحليل التقلّبات السياسيّة والفكريّة التي شهدها المثقف الغربي منذ منتصف القرن العشرين إلى يومنا هذا. صدر له أكثر من 40 كتابا أثارت معظمها جدلاً واسعاً حين صدور كل منها.[3]

02- المعني الفلسفي للنقد السياسي:

إن الحديث عن النقد السياسي عند "ريجيس دوبري" نستقيه من كتابه "نقد العقل السياسي"1981 *Critique de la raison politique*، يبدأ دوبري كتابه بنقد معنى الايديولوجيا والكشف عن ضمنيات البدائل وخلفيات التنظيمات ووظائفها الحقيقية والمصالح المستهدفة من تشكلها، ويقوم بكشف الوهم غير الإجرائي الذي يحجب الواقع وينادي بالكف عن الاعتقاد في تبني إيديولوجيا عقلانية

1. Pierre Lepape, *Les Révolutions du XX^e siècle*, Collection « Le point de la question », SGPP, 1970, p. 210 et sq., « Debray : le castrisme théorisé ».
2- Régis Debray, *Déclaration devant le conseil de guerre, Camiri, Bolivia*, Maspero, 1968.p 14.
3- Ibid ,p14.

خالصة والتخلي عن الزعم بامتلاك قراءة موضوعية للواقع الاجتماعي ويكشف على أن الايديولوجيا هي عاطفية ومرتبطة بأمر الانتماء إلى مجموعة إنسانية ويقصد هنا الماركسية. إذ يعد دوبري من المفكرين الماركسيين الذين تتلمذوا على كتابات غرامشي ولوكاش وتشربوا تقاليد الثقافة الفرنسية في الآن نفسه، شغل الأوساط الفكرية والنضالية في الوقت الذي كان لثورات العالم الثالث بريقها وجاذبيتها، يوم ذهب إلى أمريكا اللاتينية، وهو في العشرينيات من عمره، وانضم إلى الحركة المسلحة التي كان يقودها جيفارا في بداية الستينيات من القرن الماضي، وهناك كتب عدداً من الكتب لينظِّر لتلك الثورة وينتقد بعض جوانبها وإستراتيجيتها في كتابه (ثورة في الثورة)[4]، وقد ألقي القبض عليه وأودع السجن في بوليفيا بضع سنوات قبل أن يطلق سراحه بضغط دولي.ثم العودة إلى فرنسا والتفرغ للعمل الفكري والثقافي. وبلا شك أثرت تلك التجربة في شخصيته وفكره وإنتاجه اللاحق، لاسيما في كتابه (نقد العقل السياسي) حيث يقول"التي أتحدث عنها في العمق المكان الذي اكتشفت فيه أسلوباً آخر للعيش اليومي،معنى ما للاحتفال،والانفعالية المفرطة والسخاء الذي لا يوصف".

03- فشل الثورات وتنصل دوبري من الماركسية:

إن خيبة أمل دوبري في الثورة، ما لبث أن تخلي عنها وقدم إليها انتقادات لاذعة بسبب ما أفضت إليه التجارب الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي وأوربا الشرقية من فشل وبيروقراطية ومصادرة للحريات، فضلاً عن إعادة قراءته وتقويمه للفكر الماركسي قادته إلى التنصل من ماركسيته؛ "أحفظ من الماركسية نزعتها العقلانية ، وكذلك فأنا عقلاني حتى في مقاربتي للظاهرة الدينية... أما سوى ذلك فقد تخليت عن الماركسية منذ عام 1968". وبعد ربع قرن من هذا التاريخ، وبعد أن سقطت التجارب الاشتراكية، وساد منطق العولمة واتخذ تاريخ العالم

[4] . ريجيس دوبريه: نقد العقل السياسي، ترجمة عفيف دمشقية، دار الاداب ، بيروت ، 1986، ص ص06-07.

مساراً لم يكن في الحسبان وجد نفسه إزاء واقع مغاير تقصر الماركسية التقليدية عن فهمه وتفسير تحولاته[5].

لم يعد العالم الذي حكى عنه ماركس وانتقده بضراوة موجوداً.. لم تعد هناك أمميات الحركات العمالية التي ولدتها الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر.. يقول دوبريه،"ربما ما عادت الأمميات موجودة لأن الحركة العمالية ما عادت موجودة. وإذا كانت الحركات العمالية ما عادت موجودة . ونحن هنا ندلي بدلو ماركسي . فذلك يعني أن الأسس المادية لهذه الحركة ما عادت موجودة". إن بنية العالم الاجتماعية والطبقية والسياسية تتحوّل وتتغير، والصورة التي ألفناها للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين الطبقات وبين الشعوب قبل عقود قليلة أصبحت شيئاً من الذاكرة لهذا يقول دوبريه؛ "ما عادت الماركسية صالحة لوصف مجتمعنا الغربي".[6]

يعقِّب جان زيغلر على أطروحة دوبريه بتأكيده على أن الفرضية الأساسية التي تقوم عليها النظرية الماركسية برمتها (كذلك علم الاقتصاد السياسي الكلاسيكي لسمث وريكاردو ومالثوس) هي الندرة الموضوعية وهذه الندرة مثلما يخبرنا زيغلر ليست موجودة اليوم، وبالتالي فالفرضية الأساسية للماركسية لم تعد قائمة.[7]

لكنّه يعد ويقر بوجود ندرة اجتماعية "يولّدها نظام قاتل للعالم، ماثل على نحو مخيف". وقد بنت الماركسية الجزء الهام من نظريتها على هذه الندرة الاجتماعية التي هي معطى طبيعي لنظام اقتصادي اجتماعي جائر هو النظام

---

[5] – المصدر السايق، ص08.

[6] – المصدر السايق، ص09-10.

[7] – ريجيس دوبريه ، جان زيغلر: كي لا نستسلم ، ترجمة زينيه الحايك ، بسام حجار سالم ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ،ط01، 1995، ص64.

الرأسمالي وإذا كان دوبريه ينكر شعار (يا عمال العالم اتحدوا)[8] وينعتها بأممية الخرافة الماركسية الكبيرة فإنه يؤكد أن نضاله إنما ينصب "لكي لا يتحول هذا الكوكب إلى سوبر ماركت، وأن تكون هناك جزر صغيرة كالدولة والثقافة والتعليم، خارج قانون العرض والطلب،" ولقد تعاكس في ذلك مع كارل ماركس الذي سبقه في تثبيت الاقتصاد وبدقة أكبر علاقات الإنتاج والقوى المادية للإنتاج والطبقات الاجتماعية الركيزة الضرورية والبنية التحتية التي تحدد كل من السياسة والثقافي والديني ومعظم مكونات البنية الفوقية وجميع الأجهزة الإيديولوجية للدولة مثل القضاء والتعليم. فالعالم يتوحد وفق اعتبارات ومقتضيات عقلانية السوق، كما ينتقد الرأسمالية. فالنظام الرأسمالي يتبع منطقه الداخلي، وهو منطق لا ينطوي على قيم أخلاقية. فالرأسمالية "بربرية تعريفاً، وينبغي أن نناضل ضد هذه البربرية في العمق، إذا كنا نؤمن بذلك". غير أنه يعود ويتساءل إن كان هناك بديل عن السوق؟ وعلى حد تعبيره "فقد يكون التطور الذي سيطرأ خلال هذا القرن هو البرهان على أن هذا البديل لا وجود له". هذا ما يخلص إليه دوبريه في قراءته لصورة العالم المعاصر، حيث تطغي قوانين السوق الرأسمالية على العالم سالبة المجتمعات هوياتها، والتي تنزع في رد فعل مفاجئ إلى الركون إلى هوياتها المحلية والغائرة في عمق ماضيها، وحيث أن "تحديث البنى الاقتصادية يحيي الذهنيات التقليدية.[9]

04- العقل السياسي و اللاوعي السياسي:

أعاد دوبريه التفكير بالمسلّمات النظرية لتي كان يؤمن بها. عندئذ اكتشف، كما يعترف، جانباً مهماً، وكاملاً، من الواقع أغفلته الماركسية. فبدءاً ليست السياسة "هي الاقتصاد مركّزاً. فثمة نصاب مستقل للسياسي". في مقابل "أن السلوك السياسي للمتحدات البشرية لا تبدِّل منه التغيّرات التي تطرأ على نمط

[8]- المصدر نفسه، ص64.

[9]- ريجيس دوبريه: نقد العقل السياسي، المصدر السابق ص15.

الإنتاج الاقتصادي". فماذا نستخلص من هذا؟.. يقول؛ "بالإمكان الاستدلال من ذلك على لاوعي سياسي قارّ، ليست الأديان والإيديولوجيات سوى أعراضه المتلوّنة. هذا اللاوعي السياسي يُستمد من بنية خاصة بكلِّ مجتمع بشري أياً كان هذا المجتمع، وأسمي هذا اللاوعي السياسي باللاإكتمال على غرار قضية غودل Godel (في علم الرياضيات) فما من مجموعة تبلغ تمامها بالعناصر المتضمنة فيها فقط. ما يعني أن هناك دائماً ما يمكن وصفه باللاعقلاني في داخل كل مجتمع بشري".[10]

وتحوّل العالم إلى قرية صغيرة جامعة. فهي إذن عولمة ذات طابع أحادي خادع. "إن هذا الحيّز الذي يُزعم أنه يشمل الكرة الأرضية بأسرها، هو أميركي في الجوهر والأساس؛ وذلك يُعمِّم على الكرة الأرضية نمط الحياة والفكر الأميركي الشمالي. فهي إذن عولمة زائفة لا تبادل فيها ولا تعامل بالمثل". **فالعولمة تدفع نحو التطرف بسبب التجانس التقني والعلمي الذي هو السبب في عودة الهويات التي تمنحها الديانات أحسن من غيرها، كونها أبعد زمنيا من الإيديولوجيات.وفي المجمل فإن التحديث يساوي الغربة.وعودة الإغتراب والشمولية مرتبط باتساع التحديث: وكلما عممت كوكاكولا في بلد ما كلما أكثرتم من رجال الدين.**[11]

ليصل في كتاب «نقد العقل السياسي» فكل تنظيم سياسي يفترض أسطورة مؤسسة. لقد حاولت تبيان أساسا أن عولمة الإقتصاد التقني يولد شمولية سياسية ثقافية. لم يكن سهلا تقبل ذلك منذ 30 سنة، لأن الوهم حينها أنه حين يحوز كل فرد كمبيوتره الخاص سيسهل التواصل والوحدة. أنه ستكون القرية الصغيرة ونهاية الأيديولوجيات. وكنت أقول العكس. أنه كلما

---

[10] – اديث كروزيل، عصر البنيوية،ترجمة جابر عصفور،دار سعاد الصباح، الكويت،1993 ص24

[11] – محمد سبيلة وعبد السلام عبد العالي، الايديولوجيا، سلسلة دفاتر فلسفية، دار طوبقال، الدار البيضاء ، ط01، 1999، ص10.

ضاق العالم كلما تمت العودة للأصول أكثر وبرزت الاختلافات لأن التوحيد التقني سيفرز فراغ الإنتماء وفقدانا لمعنى الهوية. وسيتعمم الخطاب الذي يقول:أنا مختلف عنكم.أنا ملحد،لكنني أسست معهدا أوروبيا لعلوم الدين لأنه بدا لي أنه عصب وأنه لا يمكن فهم العالم بدون مقاربة عالم المعتقدات.[12]

هنا يتحدث عن الليبرالية والماركسية بعدما وجها وهم واحد هو الوهم الاقتصادي الذي يقوم علي فرضية خاطئة من وجهة نظره فيستدرك قائلا "إن ما يضعه ماركس في خانة البنية الفوقية إنما ينتمي إلى البنية التحتية للنمو الاجتماعي فالدين ليس معطى انتقائيا بل انه معطى بنيوي في كافة المجتمعات البشرية وإعطاء حتى المعلنة منها" وما ينشده هو تفويض النزعة الاقتصادية وإعطاء العوامل الأخرى حصتها في التغير الاجتماعي ويضيف قائلا "إن موازين الهيمنة ليست فقط ذات طبيعة اقتصادية بل أصبحت رمزية أكثر فأكثر ومتخيلة وثقافية لذالك لا زلت أتبنى واقعية ماركس الخالية من الأوهام".

خاتمة

إنها النتيجة التي توصل إليها عالم الاجتماع الفرنسي في نقده الطويل للحياة السياسية لكنه يتخلى عن أن تكون له هوية جمعية موحدة،"إن العالم يزداد تشرذماً بازدياد و تائر توحيده". وأن المجتمعات.ففي الوقت الذي أخذ فيه العالم يزدهر اقتصاديا وماليا، وجدناه ينقسم ويتشرذم سياسيا ودينيا وعرقيا. فبقدر ما عملت العولمة على توحيد الاقتصادات العالمية، عملت بالقدر نفسه على بلقنة العالم وزعزعة استقراره، ليتبين في نهاية الأمر أن الاقتصاد لا يكفي لتكوين جماعات بشرية متقدمة، وبالتالي نحن أبعد ما نكون عن مصداقية القرية الكونية الصغيرة، وبدلا منها شهدنا ظهور الجدران العالية بين المدن والبلدان، وتعزيز

[12]- ريجيس دوبريه: نقد العقل السياسي، المصدر السابق ص ص 16-17-19.

الحدود المنيع يبدو أن أساس السياسي عند "ريجيس دوبريه" في كتابه "نقد العقل السياسي" هو الديني بمعنى الرمزي والمتعالي والمقدس والمعتقد.

ويبقى القول إن عنصر البناء والركيزة الأساسية في فكر ريجيس دوبريه، هو الإنسان، فالإنسان عنده هو القضية وهو الحل، وكفاحه الطويل ورؤيته ينطلقان من عند حدود كرامة الفرد وحريته، كنواة لبناء مجتمعات بشرية، غير مصابة بالأصولية القاتلة، أو العلمانية العمياء، علي حد تعبيره وهما مشكلة القرن الحادي العشرين ومزالقه الانتقائية.

يبني دوبري موقفه النقدي السياسي الراهني من خلال ثورته على الأنظمة الاقتصادية والاديولوجات والتقنيات الراهننية بالعودة الديني و المقدس، وإعطاء العوامل الأخرى حصتها في التغير الاجتماعي.. يقول، "إن موازين الهيمنة ليست فقط ذات طبيعة اقتصادية،بل أصبحت رمزية أكثر فأكثر، ومتخيلة وثقافية. لذلك لا زلت أتبنى واقعية ماركس".[13]

يضع دوبريه إلى جانب التاريخ التقني لعلاقات الإنسان بالأشياء، وهو تاريخ ديناميكي، تراكمي ومفتوح (مثلما يدعوها)، التاريخ الديني لعلاقات الإنسان بالإنسان وهو (تاريخ) استعادي وقابل للبرمجة. وإذن فلا يحصل تقدم تقني، برأيه، إلاّ على الصعيد التقني، ولكن ليس بالضرورة على الصعيد السياسي. وهذا خلاصة وروح ما يقوله في كتابه نقد العقل السياسي.[14]

---

[13] – ريجيس دوبريه وجان زيغلر: كي لا نستسلم،ترجمة رينيه الحايك وبسام حجار، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، بيروت، ط1، ،1995ص34.

[14] – ريجيس دوبريه : نقد العقل السياسي ، المصدر السابق ص ص 22.

قائمة المصادر والمراجع:

1. Régis Debray, *Déclaration devant le conseil de guerre, Camiri, Bolivia*, Maspero, 1968.

2 . ريجيس دوبريه : نقد العقل السياسي ، ترجمة عفيف دمشقية ، دار الاداب ، بيروت ، 1986.

3 . ريجيس دوبريه و جان زيغلر: كي لا نستسلم ، ترجمة زينيه الحايك ، بسام حجار سالم ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط01، 1995.

4 - Pierre Lepape, *Les Révolutions du XX^e siècle*, Collection « Le point de la question », SGPP, 1970, p. 210 et sq., « Debray : le castrisme théorisé ».

5. اديث كروزيل: عصر البنيوية، ترجمة جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، 1993.

6 . محمد سبيلة و عبد السلام عبد العالي : الايديولوجيا ، سلسلة دفاتر فلسفية، دار طوبقال ، الدار البيضاء ، ط01، 1999.